نساء السودان في زمن الحرب:

قراءة تقاطعية في الصمود، العبء، وإعادة تشكيل السلطة

عسجد بهاء الدين

في السودان، لا يمكن فهم تأثير الحرب على النساء من منظور واحد أو تجربة واحدة. فالحرب لا تُنتج معاناة متساوية، بل تعيد توزيع الهشاشة والسلطة بطرق معقدة، تجعل تجربة كل امرأة مختلفة، وإن تقاطعت مع الأخريات في الألم.

من خلال تجربتي الشخصية، وعملي مع النساء في المجتمعات المحلية ضمن مشروع النساء قدّام مع منظمة باكس، أصبح واضحاً أن النساء في السودان لا يعشن الحرب فقط كضحايا، بل كفاعلات داخل بنية معقدة من الأدوار المفروضة، والخيارات المحدودة، واستراتيجيات البقاء.

الحرب كعبء جندري مضاعف

الحرب في السودان لم تخلق أدواراً جديدة للنساء بقدر ما ضاعفت الأدوار القائمة أصلاً.

فالمرأة، التي كانت تتحمل مسؤوليات الرعاية داخل الأسرة، وجدت نفسها أمام عبء إضافي: تأمين البقاء في سياق انهيار اقتصادي وأمني.

لكن هذا العبء لم يكن متساوياً بين النساء.

فالنساء النازحات، والأمهات، والنساء ذوات الدخل المحدود، أو الناشطات في العمل العام، واجهن مستويات أعلى من الضغط والهشاشة.

على المستوى الشخصي، بعد النزوح، أصبحت مسؤوليتي الاقتصادية تجاه أسرتي أكثر إلحاحاً. لم يكن ذلك خياراً، بل ضرورة.

وجدت نفسي في حالة بحث دائم عن عمل، أو التمسك بفرص قد لا تكون ملائمة، في محاولة للتوفيق بين متطلبات الأمومة وضغوط البقاء.

هذه التجربة تعكس كيف أن الحرب لا تؤثر فقط على النساء كفئة، بل تعيد تشكيل أدوارهن داخل الأسرة والمجتمع، بطريقة تزيد من عدم المساواة القائمة.

النزوح: إعادة إنتاج الهشاشة

النزوح، بوصفه أحد أبرز ملامح الحرب، لم يكن مجرد انتقال جغرافي، بل عملية إعادة إنتاج للهشاشة.

الخروج المفاجئ من المنزل إلى المجهول لم يكن فقط فقداناً للمأوى، بل فقداناً لشبكات الأمان الاجتماعية والاقتصادية والنفسية.

لكن مرة أخرى، لم تعش كل النساء النزوح بنفس الطريقة.

فالنساء الحوامل، والأمهات، والنساء غير القادرات على الوصول إلى الموارد، واجهن تحديات مركّبة:

من صعوبة الوصول إلى الغذاء والمياه، إلى غياب الخدمات الصحية، إلى عدم توفر الاحتياجات الأساسية الخاصة بالنساء، مثل مستلزمات الدورة الشهرية.

هذه التفاصيل، رغم بساطتها الظاهرة، تكشف عن فجوات عميقة في الاستجابة الإنسانية، التي غالباً ما تُغفل الاحتياجات الجندرية الخاصة.

إلى جانب ذلك، كانت النساء أكثر عرضة لمخاطر العنف، والاختطاف، والاعتقال، والاختفاء القسري خاصة الناشطات.

هنا، يتقاطع النوع الاجتماعي مع النشاط السياسي، ليُنتج شكلاً أكثر تعقيداً من الاستهداف.

من الهشاشة إلى الفاعلية: تحولات غير مخططة

رغم هذه الظروف، لم تبق النساء في موقع الهشاشة فقط.

بل شهدت المجتمعات تحولات مهمة في أدوار النساء، خاصة في لحظات الأزمة.

في كثير من الحالات، ومع دخول الحرب إلى الأحياء، أصبح الرجال في حالة صدمة أو عجز مؤقت، مما فتح مساحة ولو بشكل غير مقصود لتحرك النساء.

لا يمكن قراءتها كتمكين تقليدي، بل كاستجابة اضطرارية لغياب البدائل "لكن هذه "المساحة

النساء بدأن في تنظيم الحياة اليومية، واتخاذ قرارات مصيرية، وإدارة الموارد المحدودة.

وفي مناطق النزوح، انخرطن في أنشطة اقتصادية غير رسمية، في محاولة لإعادة إنتاج سبل العيش.

هنا، تظهر مفارقة أساسية:

الحرب، رغم كونها مصدراً للهشاشة، تفتح في بعض الأحيان مساحات لإعادة تشكيل الأدوار ولكن بثمن عالٍ

التضامن كاستراتيجية بقاء تقاطعية

من منظور تقاطعي، لا يمكن فهم استجابات النساء دون التوقف عند شبكات التضامن.

هذا التضامن لم يكن مجرد دعم اجتماعي، بل كان استراتيجية بقاء.

الإحساس المشترك بالمعاناة رغم اختلاف السياقات خلق روابط عميقة بين النساء.

هذه الشبكات غير الرسمية سمحت بتبادل الموارد، والدعم النفسي، والمعرفة العملية.

.كما أتاحت للنساء بناء مساحات آمنة نسبياً داخل بيئات غير مستقرة

.ومع الوقت، تطور هذا التضامن إلى مبادرات منظمة

.في ولاية القضارف، على سبيل المثال، أنشأت النساء غرف طوارئ نسوية استجابت لاحتياجات النازحات والأطفال

هذه المبادرات تعكس كيف يمكن للنساء، حتى في سياقات الهشاشة، إعادة بناء أشكال من التنظيم المجتمعي، خارج الأطر .الرسمية

من القاعدة إلى القمة: إعادة تعريف القيادة النسوية

ضمن تجربتي في مشروع النساء قدّام، شاركت في نقاشات عكست بوضوح كيف تتشكل القيادة النسوية في سياق الحرب .ليس من القمة، بل من القاعدة

ما برز في هذه النقاشات هو أن القيادة النسوية في السودان اليوم لا تقوم على الفرد، بل على مشاركة القوة والعمل الجماعي .في مواجهة بنى راسخة مثل النظام الأبوي، والسقف الزجاجي، وأشكال التهميش المختلفة ،(collective leadership)

.القيادة هنا ترتبط بمفاهيم العدالة، والرعاية، والوكالة، وتنطلق من الجذور القاعدية للمجتمع

فالنساء لا يقدن فقط في المساحات الرسمية، بل في الحياة اليومية من توزيع الموارد البسيطة مثل التقاوي، إلى تنظيم غرف .الطوارئ، وبناء التحالفات، وصياغة خطاب نسوي جديد

هذه التجارب تؤكد أن السلام، من منظور نسوي، لا يبدأ من طاولات التفاوض فقط، بل من المجتمعات، ومن النساء اللاتي .يشتغلن يومياً على إعادة بناء الحياة

ورغم التهديدات والتحديات، أظهرت الحركة النسوية في السودان قدرة لافتة على تحويل التجارب المعيشة بكل ما فيها من .ألم وتعقيد إلى مسارات قيادية، تسهم في بناء سلام أكثر عدلاً وشمولاً

النساء وبناء السلام: من الهامش إلى المركز

.في كثير من الخطابات، يتم التعامل مع النساء كضحايا للحرب، أو كمستفيدات من برامج السلام

.لكن الواقع يكشف أن النساء فاعلات أساسيات في بناء السلام على المستوى القاعدي

من خلال الحوارات المجتمعية، وحل النزاعات المحلية، والمبادرات الاقتصادية والاجتماعية، ساهمت النساء في إعادة بناء .النسيج الاجتماعي

.الأهم من ذلك، أن هذا الدور ينبع من موقعهن داخل الحياة اليومية، ومن فهمهن لتقاطعات الاحتياجات والهشاشة

من خلال عملي، شاهدت كيف تطور دور النساء خلال السنوات الأخيرة، وكيف أصبح صوتهن أكثر حضوراً ليس فقط .محلياً، بل أيضاً في الفضاءات الإعلامية والدولية

ما تعلّمته: التغيير كعملية جماعية

.من هذه التجربة، تعلّمت أن النساء لا يواجهن الحرب فقط، بل يعيدن تشكيل طرق العيش داخلها

.تعلّمت أن القوة لا تعني غياب الضعف، بل القدرة على الاستمرار رغمه

.وأن التغيير، حتى في أكثر السياقات تعقيداً، يبدأ من العمل الجماعي والتضامن

.كما تعلّمت أن الحوار كأداة يومية — يمكن أن يكون مدخلاً لإعادة بناء الثقة، وبالتالي السلام

إعادة تعريف الصورة

.النساء في السودان لسن مجرد ضحايا

.لكن أيضاً، ليس من الدقة تصويرهن فقط كرمز للقوة المجردة

.هنّ يعشن في تقاطع معقد بين الهشاشة والفاعلية، بين القيود والقدرة، بين الألم وإعادة البناء

.الاعتراف بهذا التعقيد هو الخطوة الأولى لفهم دورهن الحقيقي، ولتصميم استجابات أكثر عدلاً وفعالية

خاتمة

:في سياق حرب طويلة ومعقدة، تظل النساء في السودان في موقع فريد

.في قلب الأزمة، وفي قلب الاستجابة لها

وأي محاولة لبناء سلام مستدام، أو إعادة إعمار حقيقية، لا يمكن أن تنجح دون الاعتراف بالدور التقاطعي الذي تلعبه النساء .ليس فقط كمتأثرات بالحرب، بل كصانعات لمستقبل مختلف